المقدمة

اللّٰهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية"

[من دعاء النبي ﷺ، كما أخرجه مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في: جامع الدعاء، تحقيق أحمد أبو سالم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٣م، ص ٨٥].

وبعد:

فهذا كتاب يمثل حصاد سنوات من المتابعة النقدية لعدد من المعجمات والموسوعات والأدلة، كانت تستهدف الإسهام في خدمة فرع النقد المعجمي؛ بما هو فرع أصيل من فروع هدف أكيد لنشاطات النقد المعجمي بامتياز؛ يقول هارتمان في: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية [الكويت ٢٠٠٤م، ص٦٢]: "والنقد المعجمي يمكن أن يكون وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى النتاج المعجمي".

والنقد المعجمي واحد من حقول أساسية كبرى منضوية تحت الحقل المعرفي العلوي، المعروف باسم البحث المعجمي، وهو فرع يدور حول إبداء الرأي العلمي فيما يصدر من معجمات في مجموعة من "المظاهر المعيارية مثل: الاستيعاب coverage، والصيغة format والمجال scope والحجم والعنوان والتأليف" [هارتمان، ص ٧٨].

وقد كشف الدرس الحديث عن تجاوز في تطبيق مقولات النقد المعجمي على أعمال مرجعية أخرى بجانب المعجمات، وهو ما سيراه القارئ الكريم في عدد من فصول هذا الكتاب، فقد اتسع نطاق مظاهر تطبيق النقد المعجمي ليغطي أعمالًا أخرى من نوع الموسوعات والأدلة والقوائم؛ ذلك أنني من المؤمنين "بأن النقد المعجمي يمكن أن يمارس في عدة أجناس أخرى من النصوص "، كما يقرر هارتمان أيضًا [٧٩].

obeikandl.com

وليس صحيحًا أن يتصور أن بحوث النقد المعجمي من إنتاج الدرس المعجمي الحديث؛ ذلك أن تاريخ المعجمية المزدهر عند العرب المسلمين كان عرف تنوعات حقيقية كمؤلفات في هذا الباب العلمي العريق.

لقد عرف تاريخ المعجمية العربية - في مقدمات المعجمات المتلاحقة - رؤى نقدية طالت بيان آراء في أنظمة الترتيب لعدد من المعجمات التي سبقتها، وفي خلل الأصول الذي أفضى إلى نتائج سلبية على مستويات توزيع المفردات، وطرق الشرح، وتوثيق المادة اللغوية، ومنهجيات جمعها، وتحريرها.

ثم تطور الأمر فنشأت حركة نقد معجمي واسعة المدى حول معجمات رائدة بعينها، فقامت حركات نقدية حول معجم العين، وحول معجم الصحاح، وحول معجم القاموس المحيط؛ استهدفت عددًا بالغ الأهمية من الغايات التحسينية لهذه المعجمات، من مثل:

أولًا: تكملة النقص الواقع في جمعها للمادة اللغوية، وعرف معجم مصطلحات النقد المعجمي كلمات مفتاحية كاشفة عن تحقق هذه الغاية، من مثل: الاستدراك، والإكمال والتكملة.

ثانيًا: إصلاح الغلط الواقع في هذه المعجمات، من جهة خلل الترتيب الناتج عن التورط في الأصول، ومن جهة تحريف عدد من الكلمات، وتصحيفها، ومن جهة صرف معنى عدد من الكلمات عن جهاتها، والتورط في فساد المعنى، وعرف معجم مصطلحات النقد المعجمي كلمات مفتاحية من نوع: استدراك الغلط، التنبيه والإيضاح، التثقيف؛ وغيرها.

ثالثًا: الاختصار الإيجابي، أقصد به العودة إلى عدد من المعجمات الكبيرة؛ بهدف تخليصها من عوامل تضخمها، مع العناية بتصحيح ما فرط من صاحبها فيها من الاختلالات.

رابعًا: إعادة الترتيب، وأقصد به العودة إلى عدد من المعجمات غير شائعة الترتيب أو عسرة الترتيب، بإعادة ترتيب المداخل وفق النظام الأشهر، وهو الترتيب الألفبائي الذي يراعي التيسير على المستعملين، على ما كان - مثلًا - من أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) في معجمه: المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، وإعادة الترتيب نوع من النقد الإيجابي العلمي لمبدأ مستقر في المعجمية المعاصرة، هو ضرورة رعاية منظور المستعمل، يقول العكبري [المشوف المعلم، تحقيق: ياسين محمد السواس، جامعة أم القرى

١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (٤٦/١)]: "كتاب إصلاح المنطق... متوعر المسلك، مستصعب المدرك، لأشياء منها: التكرير المحض، الممل لحفاظه، والترتيب الموجب تفرق ألفاظه، ومنها إهمال كثير من لغته عن التفسير... فرأيت أن أجمع شوارده... فرتبته على حروف المعجم".

وكانت عناية المعجمية العربية بهذا الفرع العلمي المختص بالنقد المعجمي، تجليًا وتطبيقًا عمليًّا ظاهر السمة عامة من سمات التصور الإسلامي في الحياة، انسحب وانعكس على المنجز العلمي في حقل المعجمية، ألا وهو طلب التجويد، والإتقان، والقيام بالنصح العلمي للسابقين بتسديد النظر، وإصلاح الخلل.

وهذه جميعًا مقاصد ظاهرة من نشوء حركة النقد المعجمي في تاريخ العلم في هذا الحقل عند المسلمين.

واستمرت هذه العناية مع التاريخ، واتخذت أشكالًا أكثر انتظامًا واستقلالًا مع العصر الحديث، وباتت دراسات المعجم العربي المعاصرة لا تخلو من أبعاد في النقد المعجمي، متلبسة بتحليل المعجمات القديمة، والكشف عن سماتها وخصائصها، وهو ما يظهر بصورة واضحة منذ العمل الرائد للدكتور حسين نصار (المعجم العربي)، ومن خلفه وجاء بعده.

وقد اجتهد هذا الكتاب في أن يعين على استقرار المظاهر المعيارية في نقد المعجمات والأعمال المرجعية؛ طلبًا للفرار من الانطباعية من جانب، وطلبًا للفرار من التورط في السلبية التي تضم مجمل المنجز المعاصر في دائرة عروض النقد المعجمي.

وقد أنتج هذا الاجتهاد رعاية المظاهر المعيارية التالية:

أولًا: العناية ببيان الانتماء المعرفي لكل عمل مرجعي مفقود، وفق مؤشرات منضبطة محددة، تعول كثيرًا على معلومات واجهة المعجم.

ثانيًا: العناية بفحص البنية الكبرى لكل عمل مرجعي؛ واجهة، ومتنًا، وملاحق.

ثالثًا: العناية بفحص البنية الصغرى لكل عمل مرجعي، من جهتي معلومات التعليق على الشكل، والتعليق على المعنى.

رابعًا: العناية بفحص مظاهر الاستيعاب، والصيغة، وإقامة الدليل المادي عند انتقاد أي معجم من أحد هذين المظهرين أو كليهما.

والحق أنني ترددت كثيرًا في العمل على إصدار هذا الكتاب لأسباب كثيرة، هي نفسها التي دفعتني لإنجازه، وفي مقدمتها تراجع دراسات النقد المعجمي الصادر عن روح المراجعات العلمية النقدية في العصر الحديث.

إنني لا أنكر محاولات مهمة في هذا الباب، تذكر بأسماء من أمثال:

د. محمد أحمد أبو الفرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ود. أحمد مختار عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ود. رمضان عبد التواب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ود. محمود فهمي حجازي، ود. وفاء كامل، ود. عدنان الخطيب، وغيرهم.

وتبقى الدراسة التقويمية للمعجم العربي للدكتور سعد مصلوح علامة بارزة في هذا السياق؛ لأنها تمثل نصًّا فريدًا كثيفًا، يسعى لتوطين النقد والصناعة المعجميين وفق مظاهر معيارية منضبطة.

وترجع مسألة رعايتي للمراجعات العلمية النقدية للمعجمات إلى وقت بعيد؛ فقد أنجزت دراسة نقدية للمعجم الوجيز، بما هو معجم مدرسي، ضمنتها كتابي زمان المعجم (دار المقاصد، ٢٠١٥).. كما كنت أنجزت دراسة في نقد قاموس مصطلحات المحدثين لمحمد صديق المنشاوي، ضمنهتا كتابي ثقافة الاستهانة (مكتبة إيتراك، ٢٠٠٤).

كما إنني – وعلى امتداد ما يتجاوز عقدًا من الزمان – انشغلت بإنجاز ما يزيد عن عشرين عرضًا علميًّا لعدد من المعجمات التراثية والمعاصرة، تضمنت جميعًا مطالب في نقد هذه المعجمات، كنت أنشرها بصورة دورية في دورية عريقة معنية بعروض الكتب، هي مجلة حصاد الفكر، التي كان يصدرها مركز الإعلام العربي بالقاهرة، وقد استمر ذلك مني في الفترة من ٢٠٠٣– ٢٠١٣م.

ولم أرَ مسوغًا لجمعها وإعادة نشرها في هذا الكتاب، وربما أعود لها مستقبلًا، أجمعها في كتاب مستقل مع غيرها من العروض التي أنجزتها لعدد من المعجمات في دوريات علمية أخرى.

إنني أرجو أن ينزل هذا الكتاب الجديد منزلًا يتجاوز مناطق الرفض والرد إلى منازل القبول والرضا.

obeikandl.com

وأنا مدين بالشكر لمجموعة من النبلاء دائمًا ما يحيطونني بالمحبة والتشجيع، ممن لهم فضل على هذا الكتاب، أذكر منهم:

الدكتور سعد مصلوح، والدكتورة حسناء محجوب، والدكتور فتحي عبد الهادي، والدكور عبد الستار الحلوجي، والأستاذ أحمد عبد الستار (من مجلة تراثيات)، لهم مني خالص التقدير وجميل العرفان.

خالد فهمي

رمضان ١٤٣٨هـ- يونيه ٢٠١٧م

obeikandl.com